

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَا تَحْبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَفْوُ الْكَرِيمِ، وَأَشْهُدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ، وَأَشْهُدُ أَن مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَعْظَمُ مَنْ عَفَاهُ وَخَيْرُ مَنْ أَحْسَنَ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ وَاتَّبَاعِهِ ذَوِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَحْسِنُوا - عِبَادَ اللَّهِ - فَإِنَّ خَاتَمَ النَّقْوَى عَفْوٌ وَإِحْسَانٌ ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنَ الْخِصَالِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَدْلُّ عَلَى تَمْكِينِ الْإِيمَانِ مِنَ الْقُلُوبِ الْعَفْوُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَفْوُ! وَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى الْعَفْوُ، وَإِذَا مَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ عَنْ صِفَةِ الصَّابِرِ وَأَثْرَهَا وَجَدَهَا عِنْدَ الَّذِينَ يَعْفُونَ عِنْ الْمُقْدِرَةِ عَلَى الْعُقُوبَةِ، بَلْ يَتَجاوزُونَ الْعَفْوَ إِلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسِيءِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ ثَوَابُهُمْ عَظِيمًا، وَأَجْرُهُمْ جَسِيمًا؛ فَفِيهِمْ يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغِيرِ حِسَابٍ﴾^(٣)، وَالْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيءِ لَا يُوقَفُ لَهُ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾^(٤)، وَلَا يُلْقَاهُ ﴿إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾^(٥)، وَتَعَالَوْا بِنَا - عِبَادَ اللَّهِ - إِلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَنَرَى ذَلِكَ التَّتَّاسِبَ الْعَجِيبَ بَيْنَهَا، فَاسْمَعُوا وَعُوا قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقَمُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلِئَكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ

(١) سورة التوبه/١٢٨.

(٢) سورة البقرة/١٩٥.

(٣) سورة الزمر/١٠.

(٤) سورة فصلت/٣٥.

(٥) سورة فصلت/٣٥.



الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أُولَئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شَتَّهِي
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ، تُرِلًا مِنْ عَفْوِ رَحِيمٍ﴾^(١).

وبَعْدِ ذِكْرِ الإِيمَانِ وَالاسْتِقَامَةِ يَذْكُرُ اللَّهُ جَلَّ جَلَلُهُ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَعَمَلُ الصَّالِحَاتِ؛ إِشَارَةً
إِلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ الإِيمَانِ وَالاسْتِقَامَةِ، فَيَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحَسَنَ قَوْلًا
مِمَّنْ دَعَاهَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)، ثُمَّ إِنَّ الْقُرْآنَ يَذْكُرُ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْعَفْوَ وَدَفْعَ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ، وَهُنَّ ذَلِكَ إِلَّا بَيَانٌ لِلْغَایِةِ فِي الإِيمَانِ
وَالاسْتِقَامَةِ! وَهُنَّ ذَلِكَ إِلَّا ذِكْرٌ لِرَأْسِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا عَجَبٌ - عِبَادُ اللَّهِ - فَإِنَّ هَذِهِ
الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالسَّجَابِيَا الْحَسَنَةِ ثَمَرَاتُ الْعِبَادَاتِ، وَغَایَاتُ ((شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا)).

الَّمْ يَقُولِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنِّبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُنِّبَ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، فَالْغَایِةُ مِنَ الصِّيَامِ التَّقْوَى، الَّمْ يَقُولِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الْحَجَّ
أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الْزَادِ النَّقْوَى وَأَتَقُونِ يَتَأْوِلِي الْأَلَبِبِ﴾^(٤)، فَالْغَایِةُ مِنَ الْحَجَّ فِيْ
الْخَيْرِ وَالنَّقْوَى وَتَرْكُ الْأَخْلَاقِ الشَّائِئَةِ، الَّمْ يَقُولِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ
الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٥)، فَالْغَایِةُ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ تَرْكُ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ،
الَّمْ يَقُولِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَيُؤْشِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقَّ سُحْنَ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٦)، فَالْغَایِةُ مِنَ الْإِنْفَاقِ وَالصَّدَقَةِ تَطْهِيرُ النَّفْسِ مِنَ الشُّحِّ وَالظَّمَعِ
الْمَذْمُومِ.

(١) سورة فصلت / ٣٠ - ٣٢.

(٢) سورة فصلت / ٣٣.

(٣) سورة البقرة / ١٨٣.

(٤) سورة البقرة / ١٩٧.

(٥) سورة العنكبوت / ٤٥.

(٦) سورة الحشر / ٩.



وَقَدْ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَتْبَاعِهِ - عِبَادَ اللَّهِ - هَذِهِ الْمَعْانِي الْعَظِيمَةُ وَالْغَایِيَاتُ السَّامِيَّةُ، فَقَالَ مُخَاطِبًا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ: ((مَنْ لَمْ تَتَهَّهُ صَلَاةُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَلَا صَلَاةُ لَهُ)), وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الرُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَنْ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)), وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفَثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)). وَمَنْ حُسْنَ هَذَا الْخُلُقِ وَمَنْزِلَتِهِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ذَكَرَهُ مَرَّاتٍ فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمَمْنَاسَبَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فِي الْإِسَاءَةِ الْكَبِيرَةِ وَفِي الْإِسَاءَةِ الصَّغِيرَةِ، وَأَيُّ إِسَاءَةٍ أَكْبَرُ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ! إِلَّا أَنَّا نَحْدُу الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بَعْدَ ذِكْرِهِ الْقِصَاصَ وَأَحْكَامَهُ يَخْتِمُ ذَلِكَ بِذِكْرِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ الْجَلِيلَةِ، وَالْخَصْلَةِ الْكَرِيمَةِ، فَيَقُولُ: ﴿فَمَنْ عَفَنَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَنْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾^(١).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

* * * * *

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْغَرِيْبِ الْمَيَامِينِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي لَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ وَمِنْ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ شَيْءٌ عَظِيمٌ مِنَ الْأَذَى؛ فَهُمْ يُؤْذِنُونَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي أَتْبَاعِهِ قُتْلًا وَضَرْبًا وَسَبًا وَتَعْذِيبًا فِي الْأَوَانِ وَأَشْكَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ، بَلْ إِنَّهُمْ يُؤْذِنُونَهُ وَهُمْ فِي وَطَنِهِ، وَيَحْرِصُونَ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنَ الْخُروجِ وَالابْتِعَادِ عَنْهُمْ، فَأَيُّ إِيْذَاءٍ أَعَظُّ مِنْ هَذَا الْإِيْذَاءِ! وَحَسْبُنَا تِلْكَ الصُّورَةُ الَّتِي تُصُورُ مَكْرُهُمُ الَّذِي لَا يَنْتَهِي عِنْدَ عَرْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالابْتِعَادِ عَنْهُمْ، وَالَّتِي سَجَّلَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ لِتَكُونَ شَاهِدًا عَلَى أَكْبَرِ أَنْوَاعِ الْكَيْدِ وَالْمَكْرِ بِخَيْرِ مَخْلُوقٍ فِي الْوُجُودِ، وَشَاهِدًا لِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَى أَعْظَمِ عَفْوٍ وَإِحْسَانٍ لِلْمُسِيَّءِ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَلُهُ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْتُوكَ أَوْ



يَقْتُلُوكُ أَوْ يُخْرِجُوكُ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ﴿١﴾.

فَمَاذَا كَانَ بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؟ وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: ((مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟)) قَالُوا: خَيْرًا، أَخْ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ! وَالْعَجِيبُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ الَّذِينَ آذُوهُ يَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ أَخْلَاقَهُ لَمْ تَتَغَيَّرْ، وَصِفَاتِهِ لَمْ تَتَبَدَّلْ! فَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَفْوٍ وَكَرَمٍ وَإِحْسَانٍ وَصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ يَقِيَ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَتُهُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي سَارَتْ مَثَلًا إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُونَ: ((اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الظَّلَاقَاءُ))).

هَذَا، وَصَلُوْا وَسَلَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمْرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَبَّلُهَا الَّذِينَ لَمْ آمَنُوا صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ تَسْلِيمًا﴾ ﴿٢﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمَتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمِيعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقْرُقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقْرُقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعْزِّ الإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاکْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبْ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنًا كُلُّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِعْ



عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدُهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدُهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرُجْ لَنَا مِنْ حَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا
وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرْزاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ مُحِبِّ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

